﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾ [القصص: 1 - 3]

❁ المُناسبة بين الآيات وما قبلها:

الجمعُ بين إشاراتِ الإعجازِ البيانيِّ والإعجازِ الغيبيِّ

سبق بيانُ مناسبةِ السّورة للسّورةِ السّابقة في المقدِّمة، وبين هذه الآيات مناسبةٌ، وهي أنَّه لمّا ذكر الأحرفَ المُقطَّعة ﴿طسٓمٓ﴾، ناسبتِ الإشارةُ إلى آيات الكتاب المبين، فإنَّ الكتابَ أُلِّف من هذه الأحرف المقطّعة، فدلَّ ذلك على الإعجاز؛ لما أنَّ الكتاب قد نُظم من هذه الأحرف، وقدِ انتقل البيانُ إلى ذكر قصَّة موسى عليه السلام مع فرعون، إشارةً إلى إعجازٍ غيبيٍّ، فبعدَ الإشارة إلى منزلة الآيات ومكانتها، انتقل إلى بعض أوجه هذه المكانة في الإرشاد والاعتبار، فلمّا وصف ﷺ الكتابَ بكونِه مُبينًا؛ أقامَ الدَّليلَ على إبانتِه بما أوردَ هنا في قصَّةِ موسى وفرعونَ مِنَ الدَّقائقِ الَّتي قلَّ مَنْ يعلمُها مِنْ حُذّاقِ بني إسرائيلَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَّبَإِ﴾: دلَّ جَذْرُ كلمةِ (نبأ) على الإتيانِ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ[2]، وعلى ظهورٍ مسبوقٍ بخفاءٍ ما[3]، فيُقالُ للَّذي يأتي مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ: نابغٌ[4]، ويُقال للخبرِ: نبأٌ؛ لأنَّهُ يأتي مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ[5]، والمرادُ بنبأِ موسى وفرعونَ: خبرُهما[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

القصصُ الحقُّ اعتبارُ المؤمنين وعِظَةُ المحسنين

أُشير بالأحرفِ المقطَّعة ﴿طسٓمٓ﴾ إلى نظم القرآنِ وإعجازه؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 234.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نبأ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (نبأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نبأ).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (نبأ).
(6) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 627.

لإظهارِ عَجْزِ المشركينَ عن الإتيانِ بمِثْلِهِ، مع بيان مكانةِ الآيات النّازلات، وشأنها العظيم، أي: آياتُ السّورةِ هي آياتُ الكتابِ المُنزَّلِ مِنَ اللّهِ تعالى، الواضحِ الجليِّ، الظّاهرِ صِدْقُهُ وإعجازُهُ، نُسمعُك يا محمَّدُ شيئًا مِنْ خبرِ موسى وفرعونَ؛ لينتفعَ بهِ قومٌ يُصدِّقونَ بهذا الكتابِ، ويعلمونَ أنَّهُ لا ينطقُ إلّا بالصِّدقِ؛ ليَعلموا أنَّ العاقبةَ للمتَّقينَ، كما كانَتْ لموسى عليه السلام ومَنْ آمنَ بهِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

براعةُ الابتداءِ بالأحرفِ المُقطَّعةِ:

المـزاوجـةُ بين تحـدّي العـربِ الفصحاءِ وأهل الكتابِ

الظّاهرُ أنَّ المقصودَ بالأحرفِ المُقطَّعةِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿طسٓمٓ﴾ تحدّي المشركينَ بالإتيانِ بمِثْلِ القرآنِ في البلاغةِ والفصاحةِ، وإظهارُ عَجْزِهم عن ذلكَ[1]، وقد اقترنَ ذلك بذكرِ خبرٍ غيبيٍّ، لبيانِ أنَّ هذه الأحرفَ نَظمتِ الحقائقَ والدَّقائق، وأتَتْ بما عجزت عنه الأوائلُ والأواخر، فهي تستفتح الحقَّ بأداة الفصاحة، المنبئةِ عن عجزِ البشر عن معرفةِ مضامين الحقائق بصدقٍ تامّ، وعن الإتيانِ بنظمٍ مثلِ القرآن ببيانٍ كامل.

تعيينُ المُشارِ إليهِ في الآية:

آيـاتُ السّـورةِ هي آياتُ الكتاب المبين

يحتملُ أنْ تكونَ الإشارةُ بقولِهِ تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ إلى آياتِ السّورةِ[2]، أي: تلك المشار إليها من آيات السّورةِ هي آيات الكتابِ المبين، ويحتملُ أنْ تكونَ إلى الحاضرِ في الأذهانِ مِنْ آياتِ القرآنِ الَّتي أُنزِلَتْ قبلَ نزولِ هذهِ السّورةِ[3]، ويصِحُّ الجمعُ بين الاحتمالين، فيكون المعنى: تلك المشار إليها – وهي آيات السّورة – آياتُ الكتابِ المُبين.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 91.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 577.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 63.

بلاغةُ التعبير باسمِ الإشارةِ للبعيدِ:

تجسيدُ المكانةِ المعنويَّةِ بالإشارةِ الحسيَّة

جيءَ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ الآياتِ[1]، وبيانِ عُلوِّ درجتِها في الكمالِ، وإبعادِها عن ساحةِ النَّقْصِ، فقد جُعِلَتِ الآياتُ - وهي أمرٌ معنويٌّ - بمنزلةِ مُشارٍ إليهِ محسوسٍ بعيدٍ، يُشارُ إليهِ إشارةَ البعيدِ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّ مقامَها أعزُّ مِنْ بَيْضِ الأَنوقِ، وأبعدُ مِنْ مَناطِ العَيّوقِ، فهيهاتَ هيهاتَ لِما يَرومُهُ المعاندونَ مِنْ معارضتِها. وغرضُ الإشارةِ التَّحدّي بأجزاءِ القرآنِ تفصيلًا، كما وقعَ التَّحدّي بجميعِهِ إجمالًا، والمعنى: تلكَ آياتُ القرآنِ تُقرأُ عليكم، وهي بلُغَتِكم وحروفِ هجائِها، فأتوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِها.

نُكْتَةُ إطلاقِ الخطابِ:

التَّحدّي شاملٌ لكلِّ من يبلُغُه الخطابُ

لمّا كانَ الابتداءُ بالحروفِ المُقطَّعةِ وتعقيبُها بالإشارةِ إلى الآياتِ مشتملَينِ على تحدّي مَنْ يُكذِّبونَ بالقرآنِ، ومطالبتِهم بأنْ يأتوا بمِثْلِ سورةٍ مِنْ سوَرِهِ؛ عُمِّمَ الخطابُ بالكافِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ فهو خطابٌ لغيرِ مُعيَّنٍ مِنْ كلِّ مُتأهِّلٍ لهذا التَّحدّي مِنْ بُلَغائِهم[2].

دلالةُ ذكرِ لفظِ الآياتِ:

من اعتبر بالآيات اعتبر بسائر الكتاب

الآيةُ في الأصلِ العلامةُ على المَنزِلِ أو على الطَّريقِ، ثمَّ أُطلِقَتْ على الحُجَّةِ؛ لأنَّ الحُجَّةَ علامةٌ على الحقِّ، وأُطلِقَتْ أيضًا على الجملةِ التّامَّةِ مِنَ القرآنِ، وهو المعنى المرادُ في قولِهِ تعالى هنا: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾، وقد جاء ذكرُ هذهِ اللَّفظةِ في هذا السّياقِ؛ للدّلالةِ على أنَّ آياتِ القرآنِ دلائلُ واضحةٌ على أحقّيَّتِها وصِدْقِها وصِدْقِ الآتي، لا ينبغي أنْ يمتريَ فيها أحدٌ، لا سيَّما

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 234، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 63.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 92.

وقد أخرسَتْ شقاشقَ البُلَغاءِ والفُصَحاءِ، ولكنَّ المشركينَ يُكذِّبونَ بها كِبْرًا وعِنادًا، وما ذاكَ إلّا لسَفَهِ رأيِهم، وقصورِ نظرِهم، ولم يقل: (ذلك الكتاب المبين) لأنَّ ذِكر الآياتِ توطئةٌ لآيات مقصودة بالاعتبار، واستحضار المطلوب منها.

معنى إضافة ﴿ءَايَٰتُ﴾ للكتاب:

ما أُضيفَ للعظيمِ فلَهُ حُكمُه

إضافةُ ﴿ءَايَٰتُ﴾ إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ بمعنى (مِنْ)[1]، فتكونُ مِنْ إضافةِ الجزءِ إلى الكلِّ، أي: تلكَ آياتٌ مِنَ الكتابِ، أي: بعضٌ منهُ، والكتابُ عظيمُ الشَّأنِ، فما هو بعضُهُ كذلكَ.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ونُكْتَتُه:

القرآنُ بالغٌ مُنتهَى الكمالِ، ومشتملٌ على غاياتِ الجمالِ

الكتابُ علَمٌ بالغلَبةِ على القرآنِ الكريمِ، وسُمّيَ كتابًا؛ لأنَّ المسلمينَ مأمورونَ بكتابةِ ما ينزلُ منهُ لحفظِهِ ومراجعتِهِ، فسُمّيَ القرآنُ كتابًا قبلَ أنْ يُكتبَ ويُجمَعَ؛ لأنَّهُ بصَدَدِ أنْ يكونَ كتابًا، والتَّعريفُ باللّامِ في العلَمِ بالغلَبةِ للدّلالةِ على كمالِ الجنسِ في المُعرَّفِ، وأنَّهُ فائقٌ في جنسِهِ، فاقتضَى قولُهُ تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أنَّ تلكَ الآياتِ هي آياتُ كتابٍ بالغٍ مُنتهَى كمالِ جنسِهِ مِنْ كُتُبِ الشَّرائعِ[2].

سِرُّ التَّعبيرِ بالكتابِ دونَ القرآنِ:

الإيماءُ إلى إعجازٍ غيبيٍّ في كتابةِ الآيات

الكَتْبُ في الأصلِ يدلُّ على الجمعِ والضَّمِّ، ففي التَّعبيرِ بالكتابِ في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾، إيماءٌ إلى أنَّ هذا الكتابَ سيُكتب ويبقى ثابتًا إلى يومِ الدّين، بحقائقه وأوامره وأخباره الصّادقة، وهذا إخبارٌ غيبيٌّ، كما أنَّ فيه إشارةً إلى أمرِ المؤمنين بكتابته عند نزوله.

(1) الجَمَل، الفتوحات الإلَهيّة: 6/ 3.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 8.

نُكْتَةُ وصفِ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ بـ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾:

الكتابُ بيِّنٌ في نفسِه مبيِّن لما فيه

يجوزُ أنْ يكونَ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ مِنْ (أبانَ) وهو مرادفُ (بانَ) اللّازم، ووصفُ الكتابِ بهِ؛ لظهورِ كونِهِ مِنْ عندِ اللهِ لعِظَمِ معانيهِ، وإعجازِ نظمِهِ، كأنَّه قيل: الكتاب البيِّن في نفسِه، ويجوزُ أنْ يكونَ مِنْ (أبانَ) المُتعدّي[1]، ووصفُ الكتابِ بهِ؛ لأنَّهُ يُبيِّنُ الحلالَ والحرامَ، وصِدْقَ نُبوَّةِ نبيِّنا ﷺ، وخبرَ الأوَّلينَ والآخِرينَ، ويُبيِّنُ كيفيَّةَ التَّخلُّصِ عن شُبُهاتِ أهلِ الزَّيغِ والضَّلالِ[2]، والوصف يصحُّ فيه المعنيان، فهو بيِّنٌ في نفسِه، مبيِّنٌ للحقائقِ.

نُكْتَةُ حذفِ متعلَّقِ لفظ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾:

بيانُ الكتابِ مطلقًا، فهو مبينٌ لكلِّ ما ورد فيه

لم تُقيِّد الآيةُ أيَّ شيءٍ يُبيّنُه الكتابُ، فحُذف مُتعلَّقِ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾، فلم يُقَلْ: (المُبين كذا)، أو (عن كذا)؛ وذلك ليكون مُطلقًا في دلالته، فهو مبينٌ لكلِّ ما ورد فيه، لا يغيبُ عن أحدٍ.

بلاغةُ الاستئنافِ:

تشويقُ المخاطَب تحفيزٌ لذهنِه وتحريكٌ لنفسِه

جملةُ ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ مستأنَفَةٌ استئنافًا ابتدائيًّا، وغرضُ الاستئنافِ التَّمهيدُ لنبأِ موسى وفرعونَ والتَّشويقُ لهُ؛ لتتهيَّأَ الأذهانُ لتلقّيهِ، ويتمكَّنَ في النُّفوسِ غايةَ التَّمكُّنِ؛ لما فيهِ مِنَ العِبَرِ والعِظاتِ العظيمةِ[3]، وذلكَ أنَّ السّامعَ عندَ ذكرِ التِّلاوةِ يترقَّبُ مجيءَ المتلوِّ بنَفْسٍ يَقْظَى وذِهْنٍ مُتشوِّفٍ، ولو أُلقيَ إليهِ الكلامُ دونَ تمهيدٍ، وقيلَ مباشرةً: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ لما تنبَّهَ لهُ حقَّ التَّنبُّهِ، ولم يكن له وقعُ التَّنبيه بذكرِ التِّلاوة.

نُكْتَةُ إسنادِ فعلِ التِّلاوةِ إلى نونِ العظَمةِ:

أُسنِدَ فعلُ التِّلاوةِ إلى نونِ العظَمةِ، فقيلَ: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾، ولم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 92.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 577.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 63 - 64.

يُقَلْ: (أتلو عليكَ)؛ لتعظيمِ شأنِ التِّلاوةِ؛ لِما يترتَّبُ عليها مِنَ الأنوارِ والخيراتِ والبركاتِ، وإبانةِ الحقِّ ودَحْضِ الباطلِ، والمعنى: نتلو عليكَ بما لَنا مِنَ العظَمةِ والجلالِ، وفي ذلكَ تعظيمٌ للمَتلوِّ، وتشريفٌ للمتلوِّ عليهِ، فالقرآنُ عظيمٌ بعظَمتِهِ سبحانَهُ، وعظَمتُهُ تَسْري إلى كلِّ مَنْ تلبَّسَ بهِ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ، فتُفيد أنَّ المؤمنين ينالُهم شرفُ سماع القرآن العظيم وتلاوته والعمل به.

سماعُ تلاوةِ القرآنِ تكليفٌ، والعملُ بمقتضاها تشريفٌ

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾ دون الماضي، فلم يقل: (تلونا)؛ للإخبارِ بما يقع عند نزول الآيات، فالآياتُ التي يسمعها النَّبيُّ ﷺ حين نزولِها تُتلى عليه، فهي لتصويرِ حَدَثِ التِّلاوةِ عندَ وقوعِهِ؛ لِما لهُ مِنَ العظَمةِ وعُلوِّ الشَّأنِ، ولتكونَ الصُّورةُ حاضرةً في ذهنِ كلِّ تالٍ للقرآنِ عند سماعِها أو قراءتها.

الخبر من الله عظيمٌ، حقيقٌ بالإنصات والتَّدبُّر

عِلَّةُ استعمالِ مفردةِ التِّلاوةِ وملاءمتُها:

اختيرَ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ لفظُ التِّلاوةِ دونَ القراءةِ؛ لأنَّ التِّلاوةَ أخصُّ مِنْ حيثُ كونُها خاصَّةً بكُتبِ اللهِ المُنزَّلةِ، بخلافِ القراءةِ الَّتي تكونُ فيها وفي غيرِها، ولأنَّ التِّلاوةَ تدلُّ في أصلِ وضعِها على التَّتابعِ والمواظبةِ المناسبَين لمقامِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ في ﴿نَتْلُواْ﴾، وفيها أيضًا ملاءمةٌ لقولِهِ تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في آخرِ سورةِ النَّملِ؛ فقصَّةُ موسى وفرعونَ مِنْ جملةِ القرآنِ الَّذي أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ بتلاوتِهِ للاتِّعاظِ والاعتبارِ وتبيينِ سبيلِ الحقِّ، فإنَّ ما أُمر بتلاوته في آخرِ النَّملِ متَّصلٌ ومن جنسِ ما يُتلى عليه في بدايةِ القصصِ، وبذلكَ يتجاوبُ آخرُ سورةِ النَّملِ معَ أوَّلِ سورةِ القصصِ.

تجاوبُ آخرِ النَّملِ معَ أوَّلِ القصصِ

دلالةُ حرفِ الاستعلاءِ:

حرف (على) في قولِهِ تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ

في دقائق النّظوم تنبيهٌ على الحقائق ورعايةٌ للدّقائق

﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ للاستعلاءِ المجازيِّ، وفي استعمالِه مبالغةٌ مِنْ حيثُ يُفيدُ أنَّ التِّلاوةَ قدِ استولَتْ على سمعِ النَّبيِّ ﷺ وعقلِه وقلبِه، وكأنَّها قدِ اشتملَتْ عليه وأحاطَتْ به، وذلكَ لشأنِ المتلوِّ وأهمّيَّتِه، فهو كلامُ ربِّنا الحكيمِ الخبيرِ، مع ما فيه منَ الإيماءِ إلى أهمّيّة الموضوع المطروق، فإنَّ ذكرَه بخبر أنَّه يُتلى على النَّبيِّ ﷺ دليلُ الاعتناءِ به.

دلالةُ إفرادِ الخطابِ:

النَّبيُّ ﷺ مَهْبِطُ الوَحْيِ ومصدرُ التِّلاوةِ

قال تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾، ولم يُقَلْ: (عليكم)؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ هو الَّذي يتلقَّى ذلكَ المتلوَّ[1]، وتلقّي الأُمَّةِ لهُ إنَّما هو بواسطتِه، وفي ذلكَ مزيدُ تشريفٍ لهُ ﷺ، وإشعارٌ بعِظَمِ مسؤوليَّتِه وقَدْرِه؛ إذ هو مَهْبِطُ الوَحْيِ والتَّنزيلِ، ومنهُ يسطعُ نورُ الحقِّ على الأُمَّةِ، بل على العالمِ بأَسْرِه. وفيه أيضًا إشارةٌ إلى أنَّ مِنْ مقاصدِ السّورةِ الاستدلالَ على نُبوَّةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ الأمّيِّ بالاطِّلاعِ على الأمورِ الغيبيَّة[2].

نوعُ ﴿مِن﴾ ودلالتُها:

تحتملُ ﴿مِن﴾ في قولِه تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ أنْ تكونَ للتَّبعيضِ، وهي مفعولُ ﴿نَتْلُواْ﴾، أي: نتلو عليكَ بعضَ خبرِهما[3]؛ لأنَّ المتلوَّ في هذهِ السّورةِ بعضُ قصَّةِ موسى وفرعونَ في الواقعِ؛ لأنَّهُ قد ذُكِرَتْ في سوَرٍ أخرى أشياءُ مِنْ هذهِ القصَّةِ لم تُذكَرْ هنا، كآيةِ الطّوفانِ والجرادِ ونحوِهما[4].

تحتمل (من) التّبعيضَ والبيانَ ومآلُهما في الدّلالة واحد

ويحتملُ أنْ تكونَ ﴿مِن﴾ للبيانِ، ومفعولُ ﴿نَتْلُواْ﴾ محذوف قد دلَّتْ عليهِ صفتُهُ، والتَّقديرُ: (نتلو عليكَ شيئًا مِنْ خبرِ موسى وفرعونَ)، ومآلُ المعنى على القولِ بالتَّبعيضِ وعلى القولِ بحذفِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 64.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 235.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 391، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 248.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 65.

المفعولِ واحدٌ، ويرى الأخفش أنَّ ﴿مِن﴾ صِلَةٌ[1]؛ لأنّه يُجوِّزُ كونَها صِلَةً في الإثباتِ أيضًا، لا في النَّفيِ فقطْ، والمعنى: نتلو عليكَ نبأَهما.

دلالة استعمالِ مفردةِ ﴿نَّبَإِ﴾:

النَّبأ خبرٌ ذو شأنٍ ينزلُ على أصحاب الشَّأن

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة النَّبأ في قوله تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ دون الخبر، وذلك أنَّ النَّبأ يُستعمل في الخبر ذي الشَّأن، ففيه تنبيهٌ على عظيم ما سيُذكر من خبرِهما، وأنَّه خبرٌ له منَ الأهميَّة ما يستدعي اليقظةَ والانتباه، ويُقوّي ذلك ذِكْرُ لفظِ التِّلاوة ﴿نَتْلُواْ﴾، فاجتماعُ مفردة التّلاوة والنَّبأ يُشعر بعظيم ما سيُذكر؛ فهو تنبيهٌ على تفاصيلَ لا تُعلَمُ إلّا به، ولأنَّ النَّبأَ خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ، فيُفيدُ الكلامُ تعظيمَ شأنِ خبرِ موسى وفرعونَ[2]، والمعنى: نتلو عليكَ مِنْ خبرِهما العظيمِ العجيبِ الشَّأنِ[3]، فليسَ هناكَ أهمُّ مِنْ إرسالِ موسى ﷺ إلى فرعونَ مُدَّعي الأُلوهيَّةِ، ولذلكَ أُفرِدَ للحديثِ عنهما مُعظَمُ هذهِ السّورةَ؛ لأنَّها تعالجُ مسألةَ التَّوحيدِ، وتردُّ على مَنِ ادَّعى الأُلوهيَّةَ[4].

نُكْتَةُ تقديمِ ذِكْرِ موسى ﷺ وتأخيرِ خبره:

موسى ﷺ عنوانُ القِصَّة ومحلُّ تشريفِها

قُدِّمَ ذكرُ موسى ﷺ على فرعونَ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾؛ لتشريفِهِ ﷺ، وإظهارِ العنايةِ بتعلُّقِ النَّبأِ بهِ أوَّلًا، ولجعله عنوانَ القصَّة، ولأنَّهُ لا يوجدُ مُقتَضٍ لتأخيرِهِ، وأمّا في تفصيلِ النَّبأِ فبُدِئَ بذكرِ فرعونَ، فقيلَ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ إفسادَ فرعونَ في الأرضِ هو سببُ إرسالِ موسى ﷺ، فذُكِرَ السَّببُ قبلَ المُسبَّبِ[5]، ففسادُ فرعون وعُلوّه هو سببُ

(1) العكبريّ، التّبيان: 2/ 1016.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 64.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 252.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10870.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 466.

مجيءِ موسى ﷺ؛ فقدَّم النَّظمُ الكريم في كلِّ موقعٍ ما هو الأولى بالتَّقديمِ والتَّأخير.

نوعُ الباء ودلالتُها البيانيَّة:

التِّلاوةُ النّازلةُ مُلتبِسةٌ بالحقِّ مصاحبةٌ للصّدق

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ للملابسةِ[1]، والجارُّ والمجرورُ حالٌ مِنْ فاعلِ ﴿نَتْلُواْ﴾، أي: نتلو عليكَ مُلتبِسينَ بالحقِّ، أو مِنْ مفعولِهِ، أي: مُلتبِسًا بالحقِّ[2]، أو صفةٌ لمصدرِ ﴿نَتْلُواْ﴾، أي: تلاوةً مُلتبِسةً بالحقِّ[3]، ومُؤدَّى هذهِ التَّقديراتِ واحدٌ، ولا يَخفَى ما فيها مِنَ المبالغةِ في بيانِ حقّيَّةِ التِّلاوةِ، وأنَّهُ لا يعتريها خَلَلٌ أو شكٌّ، فهي بوَحْيٍ مِنْ علّامِ الغيوبِ، وفي ذلكَ مزيدُ تسليةٍ للنَّبيِّ ﷺ؛ إذ يُتلَى عليهِ نبأٌ صادقٌ كانَتْ فيهِ العاقبةُ للمتَّقينَ، وسنَّةُ اللّهِ لا تتبدَّلُ، فستكونُ العاقبةُ لهُ ﷺ ولأتباعِهِ المؤمنينَ.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ (الحقّ) دون (الصِّدق):

الحقُّ صدقٌ يُقابل الكذب وحقٌّ يُقابل الباطل

جاء استعمالُ مفردةِ (الحقِّ) في قولِهِ تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ لأنَّ المرادَ بهِ الصِّدقُ الَّذي لا ريبَ فيهِ، ولا كذبَ ولا امتراء، بل هو ثابتٌ ثبوتًا راسخًا عندَ أهلِ العقولِ السَّليمةِ[4]، ولا يمكنُ أنْ يتبدَّل بتبدُّلِ الأزمانِ والأحوالِ، فيكونُ في الكلامِ مبالغةٌ في حقّيَّةِ التِّلاوةِ، ولم يستعمل مفردة (الصِّدق)؛ لأنَّ الكلام قد يوصَف بالصِّدق لمطابقته الواقع، لكن أراد أن يجمع في الآيةِ بين الصِّدق المقابل للكذب، والحقِّ المقابلِ للباطل، ففي الحقّ دلالةٌ زائدةٌ، وهي أنَّ هذا الحقَّ ليس صدقًا في وصف ما مضى فحسب، بل هو وعدٌ صادقٌ لما سيأتي من إحقاقِ الحقِّ، وزَهْقِ الباطل، ففيه إيماءٌ إلى ما سيكون، وهو ما يتلاءم مع ما جاء في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 65.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 649.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 2.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 248، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 65.

آخر السّورةِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: 85].

معنى تعريف لفظِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾:

جنسُ الحقِّ قريبٌ تلاوةِ كتابِ الحقِّ

التَّعريفُ في لفظِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ للجنسِ، أي: تلاوةً ملابسةً بالجنسِ المُسمَّى بالحقِّ، فيكونُ في ذلكَ مِنَ المبالغةِ ما لا يخفَى، كأنَّ بينَ تلاوةِ هذا النَّبأِ العظيمِ وبينَ جنسِ الحقِّ ملابسةً ومصاحبةً لا انفصامَ لها، ولا انفكاكَ، وكذلكَ شأنُ كلِّ ما أخبرَ بهِ الحقُّ سبحانَهُ.

نوعُ اللّامِ ومعناها:

تعليلُ تلاوةِ هذا النّبأ، وأنّه خاصّ بالمؤمنين

اللّامُ في قولِهِ تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ للتَّعليلِ[1]، فتفيدُ أنَّ تلاوةَ هذا النَّبأِ خاصٌّ بالمؤمنينَ، أي: نتلو عليكَ لأجلِ قومٍ يؤمنونَ، لا لأجلِ غيرِهم.

نُكْتَةُ استعمالِ لفظِ ﴿لِقَوْمٍ﴾:

الإيمانُ هو الرُّكنُ الذي يقومُ به المؤمنون ويُرشِدون بتعاليمه وأركانه

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ لفظة ﴿لِقَوْمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، دون أن يقولَ: (للمؤمنينَ)، معَ أنَّهُ أوفقُ بما قبلَهُ وما بعدَهُ مِنَ الفواصلِ؛ وذلك للإشارةِ إلى تمكُّنِ الإيمانِ مِنْ نفوسِ المذكورينَ؛ فإجراءُ وصفِ الإيمانِ على كلمةِ ﴿لِقَوْمٍ﴾ يومِئُ إلى أنَّ ذلكَ الوصفَ سجيَّةٌ فيهم، ومِنْ مُكمِّلاتِ قوميَّتِهم[2]؛ فإنَّ للقبائلِ والأُمَمِ خصائصَ تُميِّزُها وتشتهرُ بها، وهؤلاءِ يُميِّزُهم عن غيرِهم وصفُ الإيمانِ، فهم يقومون به، ويرشدون بتعاليمه وأركانه.

توجيهُ تخصيصِ صفةِ المؤمنين بالذِّكر:

حضُّ المؤمنينَ على الاعتبارِ، وتحفيزُ غيرِهم على الإقبالِ

خَصَّ النَّظمُ الكريم صفةَ الإيمانِ في قولِهِ تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ دون مرادفاتها، فلم يقل: للعقلاءِ، أو النّاس، معَ

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 61.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 64.

عمومِها للنّاسِ؛ لأنَّ المؤمنينَ أكثرُ النّاس انتفاعًا بالمتلوِّ دونَ غيرِهم[1]، ولأنَّهم الَّذينَ ينتفعونَ بالعِبَرِ والمواعظِ؛ فإيمانُهم يحثُّهم على تطلُّبِ العِلْمِ والحِكمةِ والقَصَصِ النّافعةِ؛ ليزدادوا بذلكَ يقينًا[2]، وفي ذلكَ تشريفٌ لهُم[3]؛ لأنَّ شأنَهم يَعظُمُ بعظَمةِ شأنِ القرآنِ المتلوِّ، فكان ذكرُهم حضًّا لهم على مزيدٍ منَ الاعتبارِ والاتّعاظ، وتحفيزًا لغيرهم ومهمازًا ليُقبلوا على الفهم والعقل الموصل إلى الهداية.

بلاغةُ التَّعبير بصيغة المضارعِ:

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّ المضارعَ يفيدُ الاستمرارَ والتَّجدُّدَ، فيكونُ شاملًا للمؤمنينَ في وقتِ النُّزولِ وفيما بعدَهُ مِنَ الأزمنةِ[4]، فيكونُ في الكلامِ بِشارةٌ بدخولِ قومٍ في الإسلامِ، يؤمنونَ بهذهِ العِبَرِ والمواعظِ، وينتفعونَ بها، وأنَّ الإيمانَ يزدادُ فيمن يقوم بالإسلامِ دينًا، وفيه إيماءٌ إلى ضرورةِ التّزوّد الدّائم بالإيمانِ، فإنَّ الإيمانَ يزداد في قلب المؤمن على امتداد الزَّمان، واختلاف الأحوال.

المؤمنونَ دائمو الاعتبار متجدّدو الطّاعات

دلالةُ حذفِ متعلَّقِ فعلِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

حُذِفَ مُتعلَّقُ فعلِ الإيمانِ في قولِ اللّهِ سبحانَهُ: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، فلم يُقَلْ: (يؤمنونَ باللّه مثلًا)؛ للإشارةِ إلى أنَّ المنتفعينَ بسَوْقِ هذهِ القصَّةِ وأمثالِها مِنَ القَصَصِ قومٌ كاملونَ في الإيمانِ، يؤمنونَ بكلِّ ما كلَّفَهم اللّهُ تعالى الإيمانَ بهِ، وليسَ إيمانُهم مقصورًا على شيءٍ دونَ شيءٍ، وهذا هو شأنُ المؤمنِ الحقِّ، لا يغادرُ واديًا مِنْ أوديةِ الإيمانِ إلّا سلكَهُ.

المؤمنُ الكاملُ يؤمنُ بالقرآنِ الكاملِ والشَّرعِ التّامِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 391.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 64.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 275.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 466.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّبأ والخبر:

الـخـبرُ أعـمُّ، والنّبأُ ذو شأنٍ

الفرقُ بينَ الخبرِ والنَّبأِ: أنَّ النَّبأَ: خبرٌ لهُ شأنٌ وفائدةٌ عظيمةٌ، يورِثُ عِلْمًا أو غلَبةَ ظنٍّ، ولا يقالُ للخبرِ: نَبَأٌ، حتَّى يتضمَّنَ هذهِ الأشياءَ الثَّلاثةَ[1]، فيكونُ الخبرُ أعمَّ مِنَ النَّبأِ؛ لأنَّ النَّبأَ خبرٌ مخصوصٌ؛ فكلُّ نبأٍ خبرٌ، وليسَ كلُّ خبرٍ نبأً[2].

(1) الرّاغب، المفردات: (نبأ).

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 226، والسّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 594.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»